**المحاضرة الأولى:** **في مفهوم أدب الطفل**

**تمهيد:**

مرحلة الطفولة من المراحل الهامة في الحياة، فالأطفال هم عماد المستقبل، مرآة المجتمع التي تحتاج إلى عناية فائقة لكل ما يقدم لها من أجل تنشئتها تنشئة سليمة.

أدب الطفل هو أحد الأنواع الأدبية المتجدد في الآداب الإنسانية، والطفولة هي أولى مراحل بناء الإنسان وأهمها، فأدب الطفل بكل ما يتصل به من مقومات يجبُ أن يحظى بعناية وأهمية كافية، تؤهله بشتى أشكاله القصصية والشعرية والمسرحية لبناء الطفل علميا، وترسيخ الأفكار والمعلومات في ذهنه ترسيخا يكون أبعد تأثيرا وأكثر حضورا وحفظا وتمثيلا.

قبل التطرق إلى تحديد مفهوم أدب الطفل علينا أولا أن نحدده ضمن إطار الأدب العام بحكم الانتماء، فأدب الأطفال لا يختلف عن أدب الكبار في شكله وأداته، بالإضافة إلى أن كاتب هذا النوع هو البالغ والكبير.

فالأدب هو الذي « يتأدب الناس به، سمي أدبا لأنه هو الذي يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح....الأدب هو أدب النفس والدرس» ([[1]](#footnote-2)).

ويعرّف أيضا على أنّه «الفن الذي أبرعه الكتاب والشعراء من جميل الشعر والنثر، وكان مصورا للعواطف الإنسانية وراسما للناس صورة حيّة، عن اختلافها في الطبيعة والمجتمع والسياسة وغيرها مما يسر السامع ويمتعه»([[2]](#footnote-3)).

وقيل أيضا في تعريفه «الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية» ([[3]](#footnote-4)).

ويعرف أيضا على أنه « القدرة على إيقاظ موهبة التخيل التي بدونها يتحول الأدب إلى مجرد تجميع ونقل للمعلومات يمكن أن تجدها في ميادين مختلفة غير الأدب...ولأن الأدب تحديدا هو تخيل فإن كل ماهو خال من هدا العنصر المهم التخيل ليس أدبا، وهو ما يجمع من وثائق مكتوبة أو كتابات متناثرة لا علاقة له بالأدب» ([[4]](#footnote-5)).

فالأدب فن عظيم من الفنون الجميلة، أداته اللغة التي يتوسل بها إيصال أفكاره، وأحاسيسه، وتصويرها وهذا ما جعل "طه حسين" يقول:«إن الأدب فن جميل يتوسل باللغة، وهذا سر اقتران الأدب باللغة، ومن بعد ذلك بالكتابة باعتبار أن اللغة هي أحد أهم ركائز الكتابة الإبداعية» ([[5]](#footnote-6)). والأدب عامة يرتبط ببعدين أساسيين، هما الكاتب والقارئ.

أما "أحمد زلط" فيرى أن أدب الطفولة جنس أدبي متجدد نشأ ليخاطب عقلية وإدراك فئة عمرية معينة، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الإنسان لها خصوصيتها العقلية والنفسية، وينزع هذا الأدب للتعبير عن الإنسان وإشباع حاجاته في إطار عمره وعصره، يقول : «لاجرم-إذا قلنا- أن أدب الأطفال كجنس أدبي متجدد نشأ ليخاطب عقلية وإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها في ضوء التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر» ([[6]](#footnote-7))، فالدكتور "أحمد زلط" يحث على الاستعانة بالأدب شعره ونثره، من أجل الوصول إلى التربية السليمة والمتكاملة.

وأدب الطفولة هو النتاج الفكري الموجه للطفل وهو ما نلاحظه في تعريف "محمد برغيش" حيث يقول: «هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم، والتذوق، وفق طبيعة العصر، وما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه» ([[7]](#footnote-8))، إنه النتاج الذي يمكن عدّه الوسيط الملائم لنقل الجوانب التربوية والتعليمية، «وتنمية القدرات الذهنية، واستقرار الجوانب النفسية لدى الطفل (...) بالإضافة إلى منحه الشعور بالرضي والثقة بالنفس، وحب الحياة والطموح للمستقبل، ويؤهله لكي يكون إنسانا ايجابيا في المجتمع» ([[8]](#footnote-9)).

أما "نجيب الكيلاني" فبين رأيه في أدب الأطفال بالارتكاز على العقيدة الإسلامية ومبادئها السمحة، يقول أدب الطفل هو «التعبير الأدبي الجميل، المؤثر الصادق في إيحاءاته ودلالاته والذي ستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منه أساسا لبناء كيان الطفل عقليا، ونفسيا ووجدانيا، وسلوكيا وبدنيا» ([[9]](#footnote-10)).

أما "نعمان الهيتي" فله رأيه في مفهوم الأدب يقول: «الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية الهامة، ويعنى بالتعبير والتصوير فنيا ووجدانيا عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرها من عناصر الثقافة أي انه تجسيد فني تخيلي للثقافة، ويلتزم عادة بعدد من المقومات التي اصطلح عليها في عصر وفي كل بيئة ثقافية ويشمل هذا المفهوم الأدب عموما بما في ذلك أدب الطفل» ([[10]](#footnote-11)).

إذا فأدب الطفل جزء من أدب أعم هو أدب الكبار ولكن لكل منهما كتابه ومفكروه، خصائصه ومميزاته وقضاياه التي ينفرد بها، ولهذا يعرفه "أحمد علي كنعان" بأنه: «كل ما يقدم للأطفال من مادة مكتوبة سواء أكانت كتبا أم مجلات أم قصصا أم تمثيلا، أم مادة علمية» ([[11]](#footnote-12)).

فالطفل يتميز عن الكبير لا في درجة النمو فحسب، بل في الحاجات والقدرات والاتجاهات، لهذا فهو بحاجة إلى أدب مناسب يتناسب مع مراحل نموه المختلفة عقليا ونفسيا واجتماعيا، ولهذا تعتبر "هدى القناوي" بأن أدب الطفل « هو كل خبرة لغوية ممتعة وسارة لها شكل فني يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على إرهاف حسه الفني، ويعمل على السمو بذوقه الأدبي، ونموه المتكامل، وتسهم في بناء شخصيته، وتحديد هويته، وتعليمه فن الحياة» ([[12]](#footnote-13))، وهو تعريف متكامل جمع بين الأهداف والخصائص والوظائف التي يؤديها أدب الطفل، من اجل تنشئة الطفولة، التي تعد ركيزة المستقبل([[13]](#footnote-14)).

ويعرفه " محمد محمود رضوان" بأنه: «الكلام الجيد يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شعرا أم نثرا، وسواء كان شفويا أم تحريريا، ويدخل في هذا المفهوم قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم» ([[14]](#footnote-15)).

فأدب الأطفال هو التعبير الأدبي الذي يقدم رسالة يخدم فيها أطفال مجتمعه، ويؤثر فيهم بصدق إيحاءاته ودلالاته مستلهما ذلك من قيمه ومبادئه، ويجعل منها أساسا لبناء شخصية الطفل عقليا ونفسيا، وسلوكيا، وجسميا، مسهلا في بناء مداركه وتنميتها وإطلاق مواهبه الذاتية وصقلها، وبناء قدراته المختلفة وفق الأصول التربوية، ويتدرج في مراحل طفولته المختلفة وفق الأصول التربوية حتى ينمو الطفل بتكامل وشمول، ليصل إلى مرحلة النضج والوعي الكافيين ليتعلم منهجية الحياة الواقع والطموح، وأمل المستقبل، ويصنع هذا كله أدب الأطفال بما فيه من مفهوم قائم على وضوح الرؤية والإقناع والمنطق الذي يشمل تلبية الحاجات الأساسية للأطفال في ظل خبرات علماء وخبراء التربية، وعلم النفس والاجتماع والفلسفة، وتكنولوجيا المعلومات المتطورة » ([[15]](#footnote-16))

فالطفل بحاجة إلى أدب سليم له علاقة بواقعه، فيه من الخصائص الفنية ما يربي لديه الإبداع والقراءة.

وخلاصة القول في تعريف أدب الأطفال: أنه شكل من أشكال التعبير الأدبي له قواعده ومناهجه، وخصائصه الأسلوبية التي يجب أن توافق المرحلة العمرية التي يؤلف لها، بل إنه الأثر الذي يثير فيه المتعة والاهتمام لدى قراءته أو سماعه، غير أن المتعة والتسلية ليستا الهدف الرئيسي الذي يجعل الطفل يعيش حاضره فحسب، بل يهدف في الوقت نفسه إلى إحداث أثر واضح في دفع عواطفه وعقله لإعداده للمستقبل.

وهنا يلتقي أدب الأطفال مع أدب الكبار في التعريف والمفهوم السابق عنه، إلا أنه يمتاز عنه « بمخاطبته وتركيزه على فئة معينة من المجتمع وهي فئة الأطفال، ولذلك يجيء الاختلاف بينهما تبعا لاختلاف العقول والاداركات والخبرات من حيث نوعها وكمها » ([[16]](#footnote-17)).

وهو ما ركزت عليه الباحثة "زهراء الحسني" في كتابها " الطفل والأدب العربي"، حينما فرقت بين الأدبين ( الكبار والصغار) فتوصلت إلى أن **هناك فروقا عديدة منها**:

أ-أدب الكبار من إبداع القرائح وفي ظل متطلبات الحياة تتم عملية الإبداع وهو يعبر عن الحياة تعبيرا أمينا وفق التجربة البشرية التي عاشها المبدع، أما أدب الأطفال فهو التوجيه وبث التوجيهات للمخاطبين، والمؤلف يعيش موقفا تربويا ويتسلح برؤية إنسانية أخلاقية.

ب- أدب الأطفال له خصوصيات وقواعد تضبط المبدع ليخرج أدبه وفق المراحل التي يمر بها الطفل ، والمبدع أو المؤلف يتعامل مع عالم لغوي وفكري وحياتي خاص، أما كاتب أدب الكبار فله الحرية الكاملة في عالم اللغة والفكر مع ما يمتلك من تجربة حياتية كبيرة.

ج- أدب الصغار أدب خيالي، وأدب الكبار يعبر عن ذاتنا تجاه الوجود والمصير.

د- أدب الكبار يخضع لقواعد وأسس النقد وفقا للمدارس الفنية والنقدية المختلفة كالرومانسية الرمزية والواقعية والسريالية، والكلاسيكية... أما أدب الطفل فيخضع لقواعد وأسس ترتبط بمراحل نمو الطفل وبعالم الطفولة.

ه- أدب الكبار يقوم على القراءة أكثر من الاستماع والمشاهدة، ولكن أدب الصغار في المرحلة الأولى يكون قوامه المشافهة والاستماع وفي المرحلة المتوسطة بين طفولة المهد وطفولة الشباب، وتكون القراءة ممزوجة بالمشاهدة وفي مرحلة ما بعد سن التاسعة تكون القراءة والمشاهدة أكثر تأثيرا ([[17]](#footnote-18)).

إن المتمعن في هذه الفروقات بين الأدبين-كبار وصغار- يكتشف فرقا أخر أكثر أهمية من سابقيه فكاتب أدب الكبار يعبر عن مجريات واقعه، وذاته ورؤيته لكل المتغيرات الحاصلة في مجتمعه، لكن كاتب الأطفال يجب أن ينزل إلى تلك المرحلة التي يكتب عنها، يجب أن يعتبر نفسه واحدا منهم يعيش معهم في واقعهم، وخيالهم وبيوتهم الصغيرة وحاراتهم وحدائقهم وأهوائهم، فالكاتب الذي لم يبق شيئا من الطفولة بداخله لا يستطيع أن يكتب أدبا للأطفال، لأنه لا يستطيع أن يمزج بين العالمين.

والمقارنة بين أدب الكبار وأدب الصغار توصلنا إلى نتيجة هي : «أن المقومات تكاد تكون واحدة إذ إن كلا منهما يحتاج إلى شكل ومضمون، ولكن الفرق الأساس هو خلق الأجواء واستخدام الأسلوب والتراكيب والألفاظ اللغوية، لأن أدب الأطفال يخضع لضوابط ملائمة لحاجات الطفل وقدراته، ضوابط تناسب المراحل العمرية التي حددها العلماء » ([[18]](#footnote-19)) والتي تبدأ من سن الثانية إلى سن الثالثة عشر، إنه بحاجة إلى أدب يلاءم مستوى نموه بصورة أساسية، حيث يقول "نعمان الهيتي":« أدب الأطفال هو مجموعة الانتاجات الأدبية المقدمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم، أي أنه في معناه العام يشمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجديد المعاني والأفكار والمشاعر» ([[19]](#footnote-20)).

1. () – زهراء الحسيني: الطفل والأدب العربي الحديث، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص11. [↑](#footnote-ref-2)
2. () – رافد سالم سرحان شهاب: أدب الأطفال في العالم العربي، مفهومه ونشأته، مجلة التقني، مج 26، ع 7، 2013، ص22. [↑](#footnote-ref-3)
3. () – المرجع نفسه، ص22. [↑](#footnote-ref-4)
4. () – زهراء الحسيني: الطفل والأدب العربي الحديث ، ص12. [↑](#footnote-ref-5)
5. () – محمد عنابي: الأدب وفنونه، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2005، ص 19. [↑](#footnote-ref-6)
6. () – أحمد زلط: أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه، رؤى تراثية، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1997، ص24-25. [↑](#footnote-ref-7)
7. () – محمد حسن بريغش: أدب الأطفال –أهدافه وسماته-، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص46. [↑](#footnote-ref-8)
8. () – حسن شحاتة: أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 2004، ص12. [↑](#footnote-ref-9)
9. () – نجيب الكيلاني: أدب الطفولة في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1986، ط2، 1991، ص14. [↑](#footnote-ref-10)
10. () – زهراء الحسيني: الطفل والأدب العربي، ص13. [↑](#footnote-ref-11)
11. () – نعمان الهيتي: ثقافة الطفل، ص 155. [↑](#footnote-ref-12)
12. () – الهرفي محمد علي: أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، دار الاعتصام، القاهرة، 1996، ص16. [↑](#footnote-ref-13)
13. () – نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع123، 1988، ص148. [↑](#footnote-ref-14)
14. () – محمد محمود رضوان: أدب الأطفال مبادئه ومقوماته الأساسية، دار الكتب والوثائق الوطنية، (دت)، ص8. [↑](#footnote-ref-15)
15. () – ينظر: عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وثقافة الطفل، الشركة العربية المتحدة للتسويق، مصر، 2008، ص26. [↑](#footnote-ref-16)
16. () – ينظر: المرجع السابق، ص26. [↑](#footnote-ref-17)
17. () – ينظر: زهراء الحسيني: الطفل والأدب العربي، ص14-15. [↑](#footnote-ref-18)
18. () – ينظر: المرجع نفسه، ص15. [↑](#footnote-ref-19)
19. () – نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص155. [↑](#footnote-ref-20)